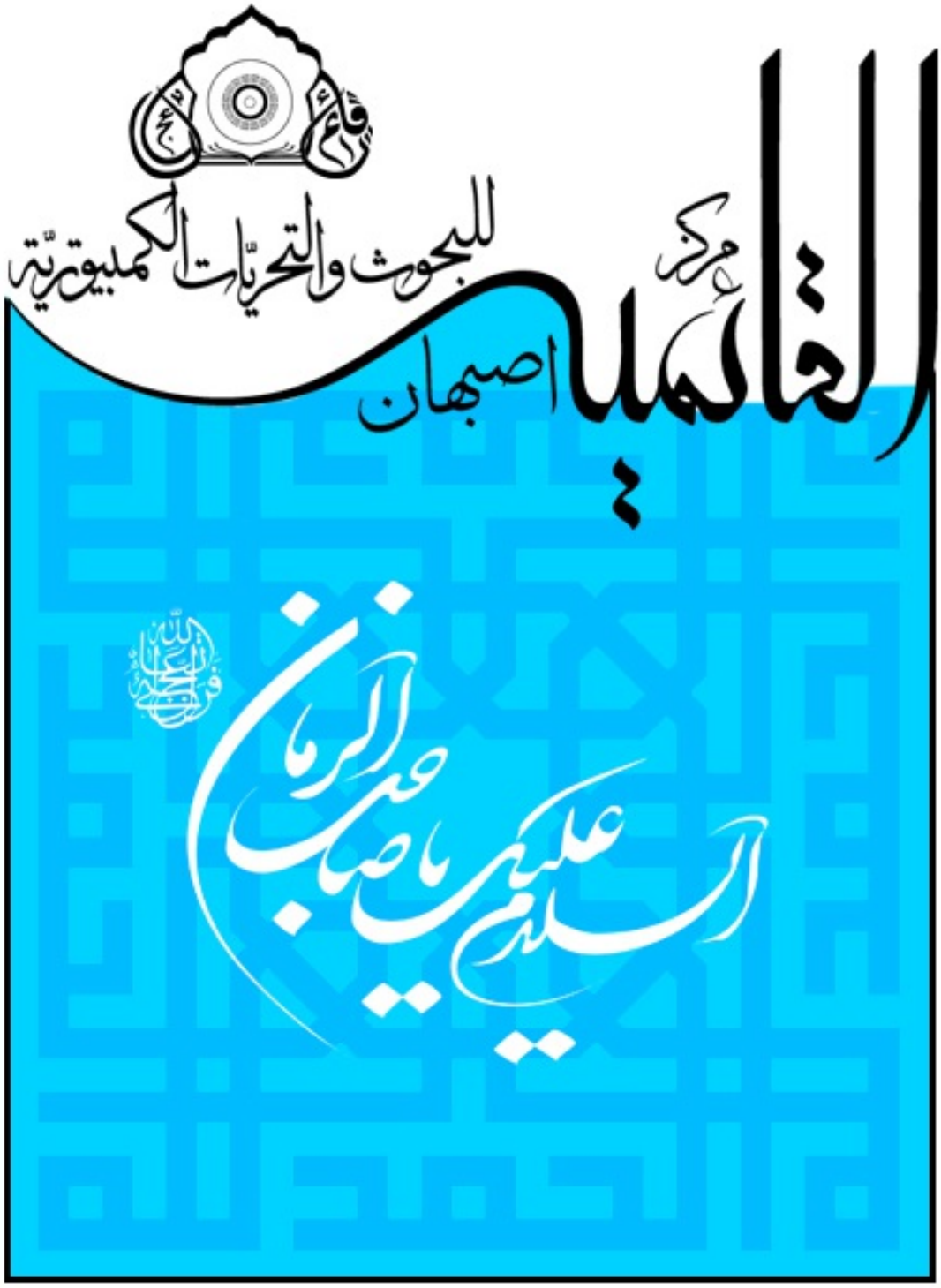

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

نظام الحكم في الإسلام

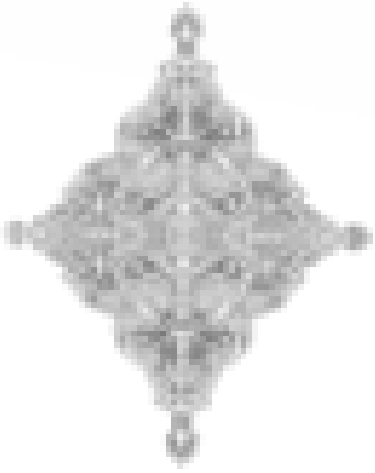

جعفر سبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

نظام الحكم فى الاسلام

كاتب:

آيت الله العظمى جعفر سبحانى (دام ظله)

نشرت فى الطباعة:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نظام الحکم فی الاسلام ----- ۶
اشارة ----- ۶
مقدّمة المؤلف ----- ۶
الفصل الأوّل ----- ۶
الفصل الثانی ----- ۸
الفصل الثالث ----- ۱۱
الفصل الرابع ----- ۱۱
۱- المصالح العالیة تقتضی التنصیص علی الاسم ----- ۱۲
۲- الفراغات الهائلة لا تسدّ إلّا بالتنصیص ----- ۱۳
۳- ما هو المرتکز للصحابة فی صیغة الحکومة؟ ----- ۱۶
الفصل الخامس ----- ۱۸
الفصل السادس ----- ۲۰
الفصل السابع ----- ۲۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۴

نظام الحكم فى الاسلام

اشارة

سرشناسه : سبحانى تبريزى جعفر، - ۱۳۴۸

عنوان و نام پديدآور : نظام الحكم فى الاسلام تاليف جعفر السبحانى مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق عليه‌السلام ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲.

مشخصات ظاهرى : ص ۹۴

فروست : (سلسله المباحث العقائديه۹)

شابک : ۹۶۴-۳۵۷-۱۰۳-۳

يادداشت : عربى

موضوع : اسلام و دولت شناسه افزوده : موسسه امام صادق عليه‌السلام رده بندى كنگره : BP۲۳۱/س۲ن۶

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۴۸۳۲

شماره كتابشناسى ملى : م۸۲-۵۷۰۷

مقدّمة المؤلف

مقدّمة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّه الذى حسرت عن معرفة كماله، عقول الأولياء، وعجزت عن إدراك حقيقته، أفهام العلماء، واحد لا شريك له، لا يُشبهه شىء لا فى الأرض ولا فى السماء ;والصلاة والسلام على نبيّه الخاتم، أفضل خلائقه وأشرف سفرائه، وعلى آله البررة الأصفياء، والأئمّة الأتقياء. أمّا بعد فغير خفىّ على النابه انّ للعقيدة ـ على وجه الإطلاق ـ دوراً فى حياة الإنسان أيسره انّ سلوكَه وليدُ عقيدته ونتاج تفكيره، فالمواقف التى يتّخذها تمليها عليه عقيدتُه، والمسير الذى يسير عليه، توحيه إليه فكرته. إنّ سلوك الإنسان الذى يؤمن بإله حىّ قادر عليم، يرى ما يفعله، ويحصى عليه ما يصدر عنه من صغيرة وكبيرة، يختلف تماماً عن سلوك من يعتقد أنّه سيّد نفسه وسيّد الكون (۶)

الذى يعيش فيه، لا ـ يرى لنفسه رقيباً ولا حسيباً. ومن هنا يتّضح أنّ العقيدة هى ركيزة الحياة، وأنّ التكاليف والفرائض التى نعبّر عنها بالشريعة بناء عليها، فالعقيدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالروح والعقل، فى حين ترتبط الشريعة والأحكام بألوان السلوك والممارسات. ولأجل هذه الغاية قُمنا بنشر رسائل موجزة عن جوانب من العقيدة الإسلامية، وركّزنا على أبرز النقاط التى يحتدم فيها النقاش. وبما أنّ لكلّ علم لغته، فقد آثرنا اللغة السهلة، واخترنا فى مادة البحث ما قام عليه دليل واضح من الكتاب والسنّة، وأيّده العقل الصريح ـ الذى به عرفنا اللّه سبحانه وأنبياءه ورسله ـ حتّى يكون أوقع فى النفوس، وأقطع لعذر المخالف. جعفر السبحانى قم ـ مؤسسة الإمام الصادق ـ عليه السَّلام

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل الحكومة حاجة ملحَّة إنّ وجود الدولة فى الحياة البشرية ليس أمراً تقتضيه الحياة المعاصرة التى اشتدت فيها الحاجة إلى الحكومة، بل هى حاجة طبيعية ضرورية للإنسان الاجتماعى عبر القرون. فإذاً الدولة حاجة طبيعية تقتضيها الفطرة الإنسانية بحيث يُعدّ الخارج على الدولة ونظامها وتدبيرها: إمّا متوحشاً ساقطاً، أو موجوداً يفوق الموجود الإنسانى. انّ استعراض ما قام به الباحثون

والمفكّرون من تبيين ضرورة الحكومة فى المجتمع الإنسانى، وانّه لولاها لانهارت الحياة وانفصمت عقد الاجتماع وعادت الفوضى إلى المجتمع الإنسانى، ممّا لا تسعه هذه الرسالة ولنتركها لمحلها. (۸) ولكن المهم لنا هو تبيين سيرة الرسول فى تأسيس الحكومة الإسلامية بعدما استّتب له الأمر، وهو يعرب عن أنّ الحكومة تعد بنى تحتيّة لإجراء عامّة الأحكام الإسلامية، وانّه لولاها لتعطلت الأحكام، وتوقّف إجراء الحدود والتعزيرات، وبالتالى سادت الفوضى على الحياة، فلذلك نقتصر فى المقام على بيان سيرة الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بعد نزوله المدينة المنورة فنقول: من تتبع سيرة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يقف على أنّه قام بتأسيس الدولة بكلّ ما لهذه الكلمة من معنى، فقد مارس ما هو شأن الحاكم السياسى من تشكيل جيش منظم، وعقد معاهدات ومواثيق مع الطوائف الأُخرى، وتنظيم الشؤون الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية ممّا يتطلّبه أى مجتمع منظم ذو طابع قانونى، وصفة رسمية، وصيغة سياسية، واتخاذ مركز للقضاء وإدارة الأُمور وهو المسجد، وتعيين مسؤوليات إدارية، وتوجيه رسائل إلى الملوك والأُمراء فى الجزيرة العربية وخارجها، وتسيير الجيوش والسرايا وبذلك يكون الرسول الأعظم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أوّل مؤسس للدولة الإسلامية التى استمرت من (۹)

بعده، واتسعت وتطورت وتبلورت، واتخذت صوراً أكثر تكاملاً فى التشكيلات والمؤسسات وإن كانت الأُسس متكاملة فى زمن المؤسس الأوّل ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ . ومن ملامح تأسيس حكومته قيامه بأُمور تعد من صميم العمل السياسى والنشاط الإدارى الحكومى، نذكر من باب المثال لا الحصر: ۱. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ عقد بين أصحابه وبين الطوائف والقبائل الأُخرى المتواجدة فى المدينة كاليهود وغيرهم اتفاقية وميثاقاً يعتبر فى الحقيقة أوّل دستور للحكومة الإسلامية. ۲. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ جهز الجيوش وبعث السرايا إلى مختلف المناطق فى الجزيرة، وقاتل المشركين وغزاهم، وقاتل الروم، وقام بمناورات عسكرية لارهاب الخصوم، وقد ذكر المؤرخون أنّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ خاض أو قاد خلال ۱۰ أعوام من حياته المدنية ۸۵ حرباً بين غزوة وسريّة. ۳. بعد ان استّتب له الأمر فى المدينة وما حولها وأمن جانب مكة وطرد اليهود لتآمرهم ضد الإسلام والمسلمين من (۱۰)

المدينة وما حولها وقلع جذورهم، توجه باهتمام خاص إلى خارج الجزيرة، وإلى المناطق التى لم تصل إليها دعوته ودولته من مناطق الجزيرة، فراح يراسل الملوك والأُمراء ويدعوهم إلى الانضواء تحت راية الإسلام والدخول تحت ظل دولته والقبول بحكومته الإلهية. ۴. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ بعث السفراء والمندوبين السياسيين إلى الملوك والزعماء وكان عملاً بديعاً من أعمال الدبلوماسية، وهذه الدبلوماسية الفطنة التى لجأ إليها النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فى مخاطبة الملوك فى عصره لم تذهب كلّها سدى. ۵. انّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ نصب القضاة وعيّن الولاة، وأعطاهم برامج للإدارة والسياسة، فأوصاهم فيما أوصاهم بتعليم أحكام الإسلام ونشر الأخلاق والآداب التى جاء بها الإسلام، وتعليم القرآن الكريم، وجباية الضرائب الإسلامية كالزكاة وإنفاقها على الفقراء والمعوزين، وما شابه ذلك من المصالح العامة، وفصل الخصومات بين الناس، وحلّ مشاكلهم) والقضاء على الظلم والطغيان، وغير ذلك من المهام (۱۱)

والصلاحيات والمسؤوليات الإدارية والاجتماعية. ۶. انّ من قرأ سورة الأنفال والتوبة ومحمّد ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يلاحظ كيف يرسم القرآن فيها الخطوط العريضة لسياسة الحكومة الإسلامية وبرامجها ووظائفها. فهى تشير إلى مقومات الحكومة الإسلامية المالية، وأُسس التعامل مع الجماعات غير الإسلامية، ومبادئ الجهاد والدفاع وبرامجها، وتعاليم فى الوحدة الإسلامية التى تعتبر أقوى دعامة للحكومة الإسلامية، وكذا غيرها من السور والآيات القرآنية فهى مشحونة بالتعاليم والبرامج اللازمة للحكومة والدولة. وهذا يكشف عن أنّ النبىّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ كان أوّل مؤسس للحكومة الإسلامية فى المدينة المنورة بعد أن مهّد لها فى مكة. إنّ من سبر الأحكام الإسلامية من العبادات إلى المعاملات إلى الإيقاعات والسياسات، يقف على أنّها بطبعها تقتضى إقامة حكومة عادلة واعية لإجراء كلّ ما جاء به النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ، وانّه لولاها لأصبحت تلك القوانين حبراً على ورق من دون أن تظهر

فى المجتمع آثارها، فانّ الإسلام ليس (۱۲)

مجرّد أدعية خاوية أو طقوس ومراسيم فردية يقوم بها كلّ فرد فى بيئته ومعبده، بل هو نظام سياسى ومالى وحقوقى واجتماعى واقتصادى واسع وشامل، وما ورد فى هذه المجالات من قوانين أو أحكام، تدلّ بصميم ذاتها على أنّ مشرّعها افترضَ وجودَ حاكم يقوم بتنفيذها ورعايتها، لأنّه ليس من المعقول سنّ مثل هذه القوانين دون وجود قوة مجرية وسلطة تنفيذية تتعهد بإجرائها وتتولّى تطبيقها مع العلم بأنّ سنّ القوانين وحده لا يكفى فى تنظيم المجتمعات، وإلى هذا الدليل يشير السيد المرتضى بقوله: إنّه سبحانه وتعالى يأمرنا بالاستجابة للّه وللرسول إذا دعا لما فيه حياتنا، يقول سبحانه: (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا استَجيبُوا للّه وَلِلرَّسُولِ إِذا دعاكُمْ لِما يُحييكُمْ).(۱) وفسّرت الآية بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإذا كان الأمر والنهى كما تُوحى هذه الآيات مبدأ للحياة وجب أن يكون للناس إمام يقوم بأمرهم ونهيهم ويقيم فيهم الحدود، _____

۱-الأنفال:۲۴. (۱۳)

ويجاهد فيهم العدو، ويقسم الغنائم، ويفرض الفرائض ويحذِّرهم عمّا فيه مضارهم، ولهذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أسباب بقاء الخلق فوجبا، وإلاّ سقطت الرغبة والرهبة ولم يرتدع أحد، ولفسد التدبير، أو كان ذلك سبباً لهلاك العباد.(۱) نظام الإمامة والخلافة فى الإسلام قد عرفت أنّ الحكومة ضرورة ملحة ولا تحتاج إلى إقامة برهان وقد وردت على لسان الرسول وأئمّة أهل البيت ـ عليهم السَّلام ـ إلماعات إلى ذلك نذكر منها ما يلى: ۱. قال النبىّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «صنفان من أُمّتى إذا صلحا صلحت أُمّتى، وإذا فسدا فسدت أُمّتى». قيل: يا رسول اللّه ومن هم؟ قال: «الفقهاء والأُمراء».(۲) _____

۱-المحكم والمتشابه، للسيد المرتضى: ۵۰.

۲-تحف العقول:۴۲. (۱۴) فالحديث يعرب عن ضرورة وجود الفقيه والأمير فى المجتمع الإسلامى، غير أنّ سعادته رهن كونهما مصلحين لا مفسدين. ۲.قال الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ لمّا سمع قول الخوارج: لا حكم إلاّ للّه، قال: «كلمة حقّ يراد بها باطل; نعم انّه لا ـ حكم إلاّ ـ للّه ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلاّ للّه، وإنّه لابدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل فى إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ اللّه فيه الآجل، ويُجمع به الفىء ويُقاتل به العدو وتأمَنُ به السبل، ويُؤخذ به للضعيف من القوى، حتّى يستريح برّ، ويُستراحَ من فاجر».(۱) ۳. وقال الإمام على بن موسى الرضا ـ عليه السَّلام ـ فى حديث طويل حول ضرورة وجود الحكومة فى الحياة البشرية: «إنّا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملّة من الملل بقُوا وعاشوا إلاّ بقيّم ورئيس لما لابدّ لهم منه فى أمر الدين والدنيا، فلم يجز فى

۱-نهج البلاغة، الخطبة ۴۰. (۱۵)

حكمه الحكيم أن يترك الخلقَ لما يعلم أنّه لابدّ لهم منه، ولا ـ قوام لهم إلاّ ـ به، فيقاتِلونَ به عدوّهم، ويقسّمون به فيئهم، ويقيمون به جمعتهم وجماعتهم، ويمنعُ ظالمهم من مظلومهم».(۱) ولأجل هذه الأهمية التى تحظى بها الحكومة الإسلامية يتعيّن على علماء الإسلام أن يبذلوا غاية الجهد فى توضيح معالمها ومناهجها وخطوطها وخصائصها فى جميع العصور والعهود. _____

۱-علل الشرائع:۲۵۳. (۱۶)

الفصل الثانى

الفصل الثانى ملامح الحكومة الإسلامية فى الكتاب والسنّة إنّ الحاكم الإسلامى ـ فى منطق القرآن وحسب تشريعه ـ ليس مجرّد من يأخذ بزمام الجماعة كيفما كان، ويأمر وينهى بما تشتهيه نفسه، ويحكم على الناس لمجرّد السلطة وشهوة الحكم، بل هو ذو مسؤولية كبيرة وثقيلة. وبما انّ هذه الرسالة لا تتسع لبيان أكثر ملامح الحكومة الإسلامية نقتصر على بعض ما ورد فى الذكر الحكيم من ملامح مقروناً ببعض الروايات، ونحيل التفصيل إلى (۱۷)

محاضراتنا.(۱) قال سبحانه: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْض أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللّهِ عاقِبَةُ الأُمور).(۲) فالمسؤوليات الملقاة على عاتق الحاكم فى الإسلام عبارة عن: ۱. إقامة الصلاة وتوثيق عرى المجتمع الإسلامى بربّه الذى فيه كلّ الخير. ۲. إيتاء الزكاة الذى فيه تنظيم اقتصاده ومعاشه. ۳. الأمر بالمعروف وإشاعة الخير والصلاح فى المجتمع. ۴. النهى عن المنكر ومكافحة كلّ ألوان الفساد والانحراف والظلم والزور. ومن المعلوم أنّ حكومة كهذه توفر للائقين والصالحين

۱-انظر كتاب معالم الحكومة الإسلامية:۳۴ـ ۴۷.

۲-الحج:۴۱. (۱۸)

وذوى القابليات والمواهب فرصاً مناسبة لإبراز مواهبهم، وتهيّئ الظروف المساعدة لتنمية استعداداتهم العلمية والفكرية فى جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتدفعها فى طريق التقدّم والازدهار. وقال رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «لا تصلح الإمامة إلّا لرجل فيه ثلاث خصال: وَرَع يحجزه عن معاصى اللّه وحِلْم يملك به غضبه وحسن الولاية على من يلى حتّى يكون لهم كالوالد الرحيم».(۱) وقال ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فى ردّ من قال: بئس الشىء الأمارة ـ: «نعم الشىء الأمارة لمن أخذها بحلها وحقّها، وبئس الشىء الأمارة لمن أخذها بغير حقّها وحلها تكون عليه يوم القيامة حسرة وندامة».(۲) _____

۱-الكافى:۱/۴۰۷.

۲-كتاب الأموال:۱۰. (۱۹) مسؤولية الحاكم فى النصوص الشرعية ۱. إنّ الرسول الأعظم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يتحدث عن مسؤوليته تجاه الأُمّة الإسلامية الّتى يأخذ بزمام حكمها، فيقول: «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته». فالأمير الذى على الناس، راع عليهم، وهو مسؤول عنهم. والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم. وامرأة الرجل، راعية على بيت زوجها وولدها، وهى مسؤولة عنهم. «ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته».(۱) ۲. ويمكن لنا أن نستجلى ملامح الحكومة الإسلامية وصفات الحاكم الإسلامى من كلام الإمام على ـ عليه السَّلام ـ الذى يرسم لنا ما على الحاكم الإسلامى الأعلى تجاه الشعب وما على الشعب تجاه الحاكم، إذ يقول فى وضوح كامل: _____

۱- كتاب الأموال للحافظ أبى عبيد سلاّم بن القاسم المتوفى۲۲۵هـ ص ۱۰. (۲۰) «و أعظم ما افترض اللّه من تلك الحقوق ;حقُّ الوالى على الرّعيّة وحقُّ الرّعيّة على الوالى، فريضةً فرض اللّه سبحانه، لكلّ على كلّ، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرّعيّة إلا بصلاح الولاة، ولا يصلح الولاة إلا باستقامة الرّعيّة. فإذا أدّت الرّعيّة إلى الوالى حقّه وأدّى الوالى إليها حقّها، عزّ الحقُّ بينهم، وقامت مناهج الدّين، واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السُّنن، فصلح بذلك الزّمان، وطمع فى بقاء الدّولة ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرّعيّة واليها أو أجحف الوالى برعيّته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال فى الدّين، وتركت محاجُّ السُّنن، فعمل بالهوى، وعطّلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حقّ عطّل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذلُّ الأبرار، وتعزُّ الأشرار، وتعظّم تبعات اللّه عند العباد».(۱) ثمّ إنّ الإمام عليّاً ـ عليه السَّلام ـ يصرّح فى هذه الخطبة ذاتها

۱-نهج البلاغة: الخطبة۲۱۶، طبعة عبده. (۲۱)

بالحقوق المشتركة والمسؤوليات المتقابلة، إذ يقول: «أمّا بعد، فقد جعل اللّه لى عليكم حقّاً بولاية أمركم، ولكم علىّ من الحقّ مثل الذى لى عليكم». ثم يشير الإمام ـ عليه السَّلام ـ فى هذه الخطبة إلى واحدة من أنصع القوانين الإسلاميّة ;وهو قانون التسوية بين جميع أفراد الأُمّة الإسلاميّة حكّاماً ومحكومين، رؤوساء ومرؤوسين، وزراء ومستوزرين، وبذلك ينسف فكرة: أنا القانون، أو أنا فوق القانون، فيقول ـ عليه السَّلام ـ : «... الحقُّ لا ـ يجرى لأحد إلاّ ـ جرى عليه، ولا ـ يجرى عليه إلاّ ـ جرى له». وعلى هذا ;فلا ـ تمييز ولا ـ تفرقة بين الحاكم والمحكوم بل الجميع أمام القوانين الإسلاميّة المدنيّة والجزائيّة وغيرها سواء، وعلى الحاكم والرئيس أن يؤدّى حقوق الناس

كأىّ فرد من أفراد الأمّة العاديّين، وبذلك يدعم الإمام ما روى عن الرسول الأكرم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ إذ يقول: «النّاس أمام الحقّ سواء». ۳. كما يمكن أن نعرف طبيعة الحكومة الإسلامية من خطبة الإمام الحسين الشهيد ـ عليه السَّلام ـ بعد نزوله بأرض كربلاء، فقال: (۲۲) «اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً فى سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح فى بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك».(۱) إنّ من أهمّ الوثائق التى ترسم لنا بوضوح معالم الحكومة الإسلامية ;الوثيقة التى كتبها النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ليهود يثرب بعد ما نزل المدينة المنوّرة، وقد رواه: ابن هشام فى سيرته(۲) ، وأبو عبيد فى كتاب «الأموال» (۳)، وابن كثير فى البداية والنهاية.(۴) وهى وثيقة تاريخية مفصّلة، فمن أراد فليرجع إلى محالّه. فالحاكم الإسلامى فى الحقيقة هو الحافظ لمصالح الشعب، وهو كالأب الحنون لعامّة المواطنين حتّى اليهود والنصارى إذا عملوا بشرائط الذمّة، فهو يسمح للمسلمين ـــــــــــــــــ

۱- بحار الأنوار:۸۰/۱۰۰ـ ۸۱، الحديث ۳۷.

۲-سيرة ابن هشام:۱/۵۰۱.

۳- الأموال، ص ۵۱۷، ط مصر .

۴- البداية والنهاية:۲/۲۲۴. (۲۳)

بأن يعاملوا غيرهم من الطوائف غير المسلمة بالعدل والرفق والشفقة ماداموا لا يتآمرون على المسلمين و لا يسيئون إلى أمنهم، ولا يقاتلونهم، فالإسلام لا يمنع عن البرّ والقسط إليهم، وإنّما يمنع عن الذين ظاهروا على المسلمين وتآمروا ضدهم، ترى كلّ ذلك فى الآيتين التاليتين: يقول سبحانه:(لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِى الدِّين ولَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقسِطُوا إلَيْهِمْ إنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطين* إنّما يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذينَ قاتلُوكُمْ فِى الدِّين وأَخرجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهرُوا عَلى إخرَاجِكُمْ أنْ تَوَلّوْهُمْ وَمَنْ يَتولَّهم فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُون).(۱) ويقول: (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا بِطانَهً مِنْ دُونكُمْ لا يأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضاءُ مِنْ أَفواهِهِمْ وما تُخفِى صُدُورُهُمْ أَكبرُ قَدْ بَيّنّا لَكُمُ الآياتِ إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُون).(۲) ولعلّ النظرة الواحدة إلى تاريخ الحكومات الإسلامية ـــــــــــــــــ

۱-الممتحنة:۸ـ۹.

۲-آل عمران:۱۱۸. (۲۴)

يكشف لنا عفوهم وسماحتهم لكثير من الذمّيين من النصارى واليهود، وقد كانت الأقلّيات بين المسلمين يرجّحون الحياة تحت ظلّ الإسلام على العيش مع الدول الكافرة، نذكر هاهنا وثيقة تاريخية ذكرها البلاذرى فى هذا المجال. قال: لمّا جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص[وكانوا مسيحيّين] : لولايتكم وعدلكم أحبّ إلينا ممّا كنّا فيه من الظلم والغشم، ولندفعنّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتوراة [أى قسماً بالتوراة] لا يدخل هرقل مدينة حمص إلاّ أن نغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى واليهود وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنّا عليه [من الظلم والحرمان]، وإلاّ (۲۵)

فانّا على أمرنا ما بقى للمسلمين عدد. فلمّا هزم اللّه الكفرة وأظهر المسلمين، فتحوا مدنهم، وأخرجوا المقلّسين(۱) فلعبوا وأدّوا الخراج».(۲) إنّ الحاكم الإسلامى، من يشارك شعبه فى إفراحه وإتراحه، وفى آلامه وآماله لا أن يعيش فى بروج عاجيّة، متنعماً فى أحضان اللذة رافلاً فى أنواع الشهوات، غير عارف بأحوال من يسوسهم. يقول الإمام وهو يرسم ملامح الحاكم الإسلامى. «أأقنع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم فى مكاره الدهر، أوأكون أُسوة لهم فى جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة، شغلها تقممها».(۳) ـــــــــــــــــ

۱- التقليس: استقبال الولاة عند قدومهم بضرب الدّف والغناء وأصناف اللهو، راجع المنجد فى اللغة.

۲-البلاذرى(م۲۷۹هـ)، فتوح البلدان، ص ۱۴۳.

۳- نهج البلاغة، الرسالة رقم۴۵. (۲۶)

الفصل الثالث

الفصل الثالث أنظمة الحكم فى المجتمعات البشريّة إنّ لنظم الحكم فى العالم ألواناً وأنواعاً نذكر عناوينها باختصار: ۱. النظام الملكى. ۲. الحكومة الأشرافية. ۳. حكومة الأغنياء. ۴. النظام الجمهورى. إلى غير ذلك من الأنظمة المعروفة لدى السياسيّين، غير أنّ المهم لنا فى المقام كيفيّة نظام الحكم فى الإسلام بعد رحيل الرسول الأكرم، أمّا فى زمانه فلا شكّ أنّه الحاكم (۲۷)

المبعوث من اللّه سبحانه وليس للناس اختيار فى ردّه وقبوله. يقول سبحانه: (وَما كانَ لِمؤمِن وَلا مُؤْمِنَة إِذا قَضى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرةُ مِنْ أَمرِهِمْ).(۱) إنّ البحث عن صيغة الحكومة الإسلامية من أهمّ المباحث لكنّها ـ للأسف ـ قلّت العناية بترسيم شكلها ومعالمها وما يرجع إليها من المباحث. أمّا الشيعة فبما أنّهم كانوا يمثّلون طول العصور جبهة الرفض والمعارضة للحكومات الجائرة لم تسنح لهم الظروف أن يتحدّثوا عن صيغة الحكومة الإسلامية، وأمّا السنّة فقد تبعوا فى ترسيمها الوضع السائد على الحكومات بعد رحيله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وزعمت أنّها حكومات إسلامية شرعية من دون أن ترفع النقاب عن واقع الحكومة الإسلامية، ولأجل ذلك غابت الصورة الحقيقية للحكومة الإسلامية عن أذهان أكثر المسلمين، ومن حاول أن يستجلى كيفية النظام الإسلامى يجب عليه رعاية الأُمور الثلاثة: _____

۱-الأحزاب:۳۶. (۲۸) أوّلاً: العودة إلى المصادر الأساسية للإسلام، ونعنى بها الكتاب والسنّة المطهرة. ثانياً: أن لا يخلطوا بين ما وقع وجرى على الساحة الإسلامية فى مجال الحكم، و بين ما هو مرسوم لنظام الحكم فى أصل الشريعة المقدّسة. ثالثاً: أن لا يخلطوا بين تاريخ المسلمين ونظام الدين، لأنّ ذلك التاريخ لا يكون ممثّلاً واقعياً لكلّ تعاليم الدين، ولا مبرزاً لجميع حقائقه. إنّ التتبع فى الكتاب والسنّة يقضى بأنّ الحكومة فى الإسلام تقوم بأحد أمرين، لكلّ واحد ظرفه الخاصّ: ۱. التنصيص الإلهى على الحاكم الأعلى باسمه وشخصه. وهذا فيما لو كان هناك نصّ أو نصوص على حاكمية شخص معيّن على الأُمّة كما فى النبىّ الأكرم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ باتّفاق المسلمين، أو الأئمّة المعصومين حسب ما تذهب إليه الشيعة. ومن المعلوم، أنّه لو كان نصّ لما جاز العدول عنه إلى (۲۹)

الطريق الآخر الذى سنشير إليه. ۲. التنصيص الإلهى على صفات الحاكم الأعلى، وشروطه، ومواصفاته الكليّة فيما إذا لم يكن هناك تنصيص على الشخص، أو كان لكن الظروف تحول دون الوصول إليه والانتفاع بقيادته. وبما انّ البحث فى الرسالة مركّز على بيان صيغة الحكومة بعد رحيل النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ لا مطلقاً حتّى يشمل البحث الأحوال الحاضرة، فتتحدد الدراسة ببيان نظام الحكم بعد وفاة الرسول الأكرم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فقط وأمّا ما هى صيغة الحكم فى الأحوال الحاضرة فهو رهن كتاب مفرد قمنا ببيانها فى محاضراتنا.(۱) _____

۱-لاحظ مفاهيم القرآن، الجزء الثانى تجد فيه بغيتك.

الفصل الرابع

الفصل الرابع التنصيص الإلهى على الحاكم باسمه وشخصه لا شكّ أنّ النبىّ الأكرم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ كان حاكماً منصوباً من جانبه سبحانه ولم يختلف فيه أحد من المسلمين إنّما الاختلاف فى صيغة الحكومة الإسلامية، بعد رحيله، فهل هى كانت على غرار حكومة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وأنّ اللّه سبحانه نصب شخصاً أو أشخاصاً معيّنين للحكومة على لسان نبيّه، أو أنّ

الحكومة بعده ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ على غرار الطريق الثانى، أعنى: التنصيص على الصفات والشروط الكليّة اللازمة للحاكم، وحث الأُمّة على تعيين الحاكم من عند أنفسهم حسب تلك الصفات والشروط وعلى ضوء تلكم المواصفات؟ فهناك قولان، ذهبت إلى كلّ واحد طائفة من (۳۱)

المسلمين. إنّ طائفة كبيرة من المسلمين ذهبت إلى أنّ صيغة الحكومة بعد الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ كانت حكومة تنصيصية إلهية على غرار حكومة النبىّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ واللّه سبحانه نصّ على أسماء من يجب أن يخلفوا نبيّه على لسان نبيّه، وأوجب طاعتهم وحرّم مخالفتهم. ويمكن استجلاء الحقيقة بالطرق الثلاثة التالية: ۱. هل المصالح كانت تقتضى التنصيص على الاسم، أو كانت تقتضى التنصيص على الوصف وترك الاختيار للأُمّة؟ ۲. إنّ الفراغ الذى يحدث برحيل النبىّ الأكرم هل يسدّ بانتخاب الأُمّة، أو لا يسدّ إلّا بالتنصيص على فرد معيّن؟ ۳. ما هو المرتكز فى أذهان المسلمين فى حياة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وبعد رحيله؟ وها نحن نأخذ كلّ واحد من هذه الطرق بالبحث والتحليل. (۳۲)

۱ـ المصالح العالية تقتضى التنصيص على الاسم

۱ـ المصالح العالية تقتضى التنصيص على الاسم كانت المصالح بعد رحيل النبى مقتضية لأن ينصب النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ شخصاً مكانه، وكان فى ترك الأمر إلى رأى الأُمّة مفسدة، ويعلم ذلك من خلال دراسة أمرين: أ: الأُمّة الإسلامية والخطر الثلاثى كانت الأُمّة الإسلامية قُبيل وفاة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ محصورة بأكبر امبراطوريتين عرفهما تاريخ تلك الفترة. امبراطوريتان كانتا على جانب كبير من القوّة والبأس والقدرة العسكرية المتفوّقة ممّا لم يتوصّل المسلمون إلى أقلّ درجة منها... وتلك الامبراطوريتان هما: الروم وإيران. هذا من الخارج. (۳۳) وأمّا من الداخل، فقد كان الإسلام والمسلمون يُعانون من جماعة المنافقين الذين كانوا يشكّلون العدوّ الداخلى المبطّن (أو ما يسمى بالطابورالخامس). كان المنافقون يتربصون بالنبى الدوائر، حتّى أنّهم كادوا له ذات مرّة، وأرادوا أن يجفلوا به بعيره فى العقبة عند عودته من حجّة الوداع، وربّما اتّفقوا مع اليهود والمشركين لتوجيه الضربات إلى الكيان الإسلامى من الداخل تخلّصاً من هذا الدين الذى هدّد مصالحهم، ولقد كان المنافقون ولا يزالون أشدّ خطراً من أىّ شىء آخر على الإسلام، وذلك لأنّهم كانوا يوجّهون ضرباتهم بصورة ماكرة وخفيّة، وبنحو يخفى على العاديين من الناس. لقد تصدى الذكر الحكيم لفضح المنافقين والتشهير بجماعتهم وخططهم فى أكثر السور القرآنية، مثل البقرة، آل عمران، المائدة، الأنفال، التوبة، العنكبوت، الأحزاب، محمّد، الفتح، المجادلة، الحديد، والحشر. كما نزلت فى حقّهم سورة خاصة باسم المنافقين، ولا (۳۴)

يسعنا نقل معشار ما تآمروا به فى الفترة المدنية، ويكفى فى ذلك قوله سبحانه فى حقّهم:(لَقَدِ ابْتَغوا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمورَ حتّى جاءَ الحَقُّ وظَهرَ أَمرُ اللّهِ وَهُمْ كارِهُون).(۱) ويشير أيضاً إلى تآمرهم ليلاً ونهاراً حيث كانوا يبيّتون خلاف ما يظهرونه ويبدونه أمام النبىّ كما يقول: (وَ يَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذى تَقُولُ).(۲) وكان من المحتمل جدّاً أن يتفق هذا الخطر الثلاثى ـ الناقم على الإسلام ـ على محو الدين وهدم كلّ ما بناه الرسول طوال ثلاثة وعشرين عاماً من الجهود والمتاعب، وتضييع كلّ ما قدّمه المسلمون من تضحيات فى سبيل إقامته. إنّ احتمال قيام المؤامرات واتّحاد قوى الشرك مع الطابور الخامس لم يكن يومذاك غائباً عن ذهنية المشرِف على ــــــــــــــــ

۱ـ التوبة:۴۸.

۲ـ النساء:۸۱. (۳۵)

الأوضاع السياسية فضلاً عن النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ، ومثل هذا يفرض على القائد العليم أن يدحض جميع تلك المخططات والمؤامرات بتنصيب خليفة من بعده عارفاً بالكتاب والسنّة، شُجاعاً مِقْداماً، واعياً بالأوضاع السياسية، حازماً، يمسك بزمام الأُمور ويقود المجتمع الإسلامى إلى ساحل الأمان وهذا بخلاف ما لو ارتحل دون أن يفكر بمستقبل الحكومة الإسلامية والمؤامرات والفتن التى

تحدق بها، ويدلى بالأمر إلى الأمّة كى تنتخب لها قائداً من بعده، فانّ اتخاذ مثل هذا الموقف كان على خلاف مصالح الأمّة ، وبعيداً عن ذهنية من كان محيطاً بالأوضاع الداخلية لأُمّته والنزاعات الطائفية التى كانت قائمة على قدم وساق والتى ربما كانت تنتهى إلى حروب داخلية تجعل الأُمّة عرضة لأطماع الأعداء التوسعية التى يحكى عنها قوله سبحانه: (أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ).(۱) _____

۱- الطور:۳۰ . (۳۶) ب: النظام القبلى يمنع من الاتفاق على قائد لقد كان من أبرز ما يتميز به المجتمع العربى قبل الإسلام، هو النظام القبلى، والتقسيمات العشائرية التى كانت تحتلّ ـ فى ذلك المجتمع ـ مكانة كبرى، و تتمتّع بأهميّة عظيمة. فلقد كان شعب الجزيرة العربية،غارقاً فى هذا النظام الذى كان سائداً فى كلّ أنحائها. ولقد كان للقبيلة أكبر الدور فى الحياة العربية ـ قبل الإسلام ـ وعلى أساسها كانت تدور المفاخرات وتنشد القصائد، وتُبنى الأمجاد، كما كانت هى منشأ أكثر الحروب وأغلب المنازعات التى ربما كانت تستمرّ قرناً أو أزيد، كما حدث بين الأوس والخزرج، أكبر قبيلتين عربيّتين فى يثرب(المدينة) كلّفهم مئات القتلى قبل دخول النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ المدينة. ورغم ما أوجد النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ فى ضوء التعاليم الإسلامية من تحولات عظيمة فى حياة العرب إلاّ أنّ أكثرها كانت تتعلّق (۳۷)

بقضايا عقائدية ومسائل أخلاقية، لا بالحياة القبلية، ولم يكن من الممكن أن ينقلب النظام القبلى العربى فى خلال ثلاث وعشرين عاماً ويتبدل كلّيّاً. بل كان التعصب للقبيلة ولشيخها هو المظهر الأتم للحياة القبلية. وعلى ضوء ذلك فهل يجوز فى منطق العقل أن يترك القائد ـ كالنبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ـ أُمّته المفطورة على التعصبات القبلية والاختلافات العرقيّة دون أن يعين مصير الخلافة بتنصيب خليفة من بعده، و فى تعيينه قطع لدابر الاختلاف والفرقة، وسدّ لأفواه الطامعين بالخلافة؟! وأوضح دليل على التعصبات القبلية فى الشؤون الاجتماعية ولا سيما فى الخلافة العامة، هو الخلاف والتشاجر الذى ظهر فى السقيفة حيث سارعت كلّ قبيلة إلى ترشيح زعيمها للخلافة متجاهلة كلّ المبادئ والتعاليم الإسلامية، فهذا هو الناطق بلسان الأنصار يرفع عقيرته فى السقيفة ويقول: نحن أنصار اللّه وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر (۳۸)

المهاجرين رهط منّا وقد دفّت دافّة من قومكم(۱)إذ هم يريدون أن يجتازون(۲) ويغصبونا الأمر. وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على رسوخ التعصبات القبلية فى نفوسهم. أفيصحّ لقائد محنك كالنبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أن يترك الأمر لقوم هذا مبلغ تفكيرهم وتغلغلهم فى العصبية القبلية متجاهلة كل المعايير الإسلاميّة فى الحاكم الإسلامى. وهذا هو أحد المهاجرين الحاضرين فى السقيفة يتعصّب لقريش ويقول: «...لن تعرف العرب هذا الأمر (أى الزعامة) إلاّ لهذا الحىّ من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً...». ومن قرأ تاريخ السقيفة والمناقشات الدائرة بين الحاضرين (الأوس والخزرج وجمع من المهاجرين) يلاحظ كيف تأجّجت نار العصبية بين هؤلاء بحيث أخذ كلّ _____

۱-جاء جماعة ببطء .

۲-أى يدفعوننا من أصلنا . (۳۹)

يتعصّب لقبيلته دون أن ينظر إلى مصالح الإسلام والمسلمين. إلى هنا تبين انّ المصلحة كانت تكمن فى التنصيب للخلافة دون الإدلاء بها إلى الأُمّة، وقد أوضحنا حالها من خلال دراسة أمرين: ۱. الخطر الثلاثى المُحدِق بالإسلام والمسلمين. ۲. التعصبات القبلية التى تحول دون الاتّفاق على شىء و تؤجّج نار الطائفية بين المسلمين. ونبحث الآن فى العامل الثانى الذى يدعم نظرية التنصيب من جانب النبىّ بوحى من اللّه. (۴۰)

۲- الفراغات الهائلة لا تسدّ إلاّ بالتنصيص

۲- الفراغات الهائلة لا تسدّ إلاّ بالتنصيص إنّ النبىّ الأكرم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ، كان يملأ فراغاً كبيراً وعظيماً فى حياة الأُمّة

الإسلامية، ولم تكن مسؤولياته وأعماله مقتصرة على تلقّى الوحى الإلهى، وتبليغه إلى الناس فحسب، بل كان يقوم بالأمور التالية: ۱. يُفسِّر الكتاب العزيز، ويشرح مقاصده وأهدافه، ويكشف رموزه وأسراره. ۲. يُبيِّن أحكام الموضوعات التى كانت تَحْدُثُ فى زمن دعوته. ۳. يَرُدّ على الحملات التشكيكية، والتساؤلات (۴۱)

العويصة المريبة التى كان يثيرها أعداء الإسلام من يهود ونصارى. ۴. يصون الدين من التحريف والدسّ، ويراقب ما أخذه عنه المسلمون من أُصول وفروع، حتّى لا ـ تَزِلّ فيه أقدامهم. وهذه الأُمور الأربعة كان النبى يمارسها ويملأ بشخصيته الرسالية ثغراتها. ولأجل جلاء الموقف نوضح كلّ واحد من هذه الأُمور. أمّا الأمر الأوّل: فيكفى فيه قوله سبحانه: (وَأَنْزَلْنا إِلَيكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلناسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)(۱) فقد وصف النبى فى هذه الآية بأنّه مبيّن لما فى الكتاب، لا مجرّد تال له فقط. وقوله سبحانه: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنَهُ* فَإِذا قَرأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ)(۲) فكان النبى يتولى بيان مُجْمَلِهِ و مُطْلَقِهِ ومُقَيَّده،

۱- النحل:۴۴.

۲-القيامة:۱۶ـ۱۹.

بقدر ما تتطلبه ظروفه. والقرآن الكريم ليس كتاباً عادياً، على نسق واحد، حتّى يستغنى عن بيان النبى، بل فيه المُحكَم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلَق والمقيَّد، والمنسوخ والناسخ، يقول الإمام على ـ عليه السَّلام ـ : «وخلّف (النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ) فيكم ما خلّفت الأنبياء فى أُممها: كتاب ربّكم فيكم، مبيّناً حلالَه وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورُخَصَه وعزائمه، وخاصّه وعامّه، وعِبره وأمثاله، ومُرسله ومَحْدُدَهُ،ومحكمه ومتشابهه، مفسّراً مجمله، ومبيِّناً غوامضه».(۱) وأمّا الأمر الثانى: فهو غنىٌ عن التوضيح، فإنّ الأحكام الشرعية وصلت إلى الأُمّة عن طريق النبى، سواء أكانت من جانب الكتاب أو من طريق السنّة. وأمّا الأمر الثالث: فبيانه أنّ الإسلام قد تعرض، منذ ظهوره، لأعنف الحملات التشكيكية، وكانت تتناول توحيده ورسالته وإمكان المعاد، وحشر الإنسان، وغير ذلك. وهذا هو

۱-نهج البلاغة، الخطبة۱ (۴۳)

النبى الأكرم، عندما قدم عليه جماعة من كبار النصارى لمناظرته، استدلّوا لاعتقادهم بنبوة المسيح، بتولده من غير أب، فأجاب النبى بوحى من اللّه سبحانه، بأنّ أمر المسيح ليس أغرب من أمر آدم حيث ولد من غير أب ولا أُمّ قال سبحانه: (إِنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُراب ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ).(۱) وأنت إذا سبرت تفاسير القرآن الكريم، تقف على أنّ قسماً من الآيات نزلت فى الإجابة عن التشكيكات المتوجهة إلى الإسلام من جانب أعدائه من مشركين ويهود و نصارى وقد وردت حول المعاد جملة كثيرة من الشبهات التى كانوا يعترضون بها على عقيدة المعاد، وأجاب القرآن عنها. وأمّا الأمر الرابع: فواضح لمن لاحظ سيرة النبى الأكرم، فقد كان هو القول الفصل وفصل الخطاب، إليه يفيء الغالى، ويلحق التالى، فلم يُرَ أبّان حياته مذهب فى الأُصول والعقائد، ولا فى التفسير والأحكام. وكان ـ بقيادته

۱-آل عمران:۵۹. ولاحظ سورة الزخرف:۵۷ـ۶۱. (۴۴)

الحكيمة ـ يرفع الخصومات والاختلافات، سواء فيما يرجع إلى السياسة أو غيرها.(۱) هذه هى الأُمور التى مارسها النبى الأكرم أيّام حياته، ومن المعلوم أنّ رحلته وغيابه صلوات اللّه عليه، يخلّف فراغاً هائلاً ومفزعاً فى هذه المجالات الأربعة، فيكون التشريع الإسلامى حينئذ أمام أُمور ثلاثة: الأوّل: أن لا يبدى الشارع اهتماماً بسدّ هذه الفراغات الهائلة التى ستحدث بعد الرسول، ورأى تركَ الأُمور لتجرى على عَواهنها. الثانى : أن تكون الأُمّة، قد بلغت بفضل جهود صاحب الدعوة فى إعدادها، حدّاً تقدر معه بنفسها على سدّ ذلك الفراغ.

۱-يكفى فى ذلك ملاحظة غزوة الحديبية، وكيف تغلّب بقيادته الحكيمة على الاختلاف الناجم، من عقد الصلح مع المشركين وما نجم فى غزوة بنى المصطلق من تمزيق وحدة الكلمة ، أو ما ورد فى حجّة الوداع، حيث أمر من لم يَسُق هدياً. بالإحلال، ونجم الخلاف من بعض أصحابه، فحسمه بفصله القاطع. (۴۵) الثالث: أن يستودع صاحب الدعوة، كلّ ما تلقاه من المعارف والأحكام بالوحى، وكلّ ما ستحتاج إليه الأُمّة بعده، يستودعه شخصية مثالية، لها كفاءة تَقَبُّلِ هذه المعارف والأحكام وتحمُّلها، فتقوم هى بسد هذا الفراغ بعد رحلته صلوات اللّه عليه. أمّا الاحتمال الأوّل: فساقط جداً، لا يحتاج إلى البحث، فإنّه لا ينسجم مع غرض البعثة، فإنّ فى ترك سدّ هذه الفراغات ضياعاً للدين والشريعة، وبالتالى قطع الطريق أمام رُقىّ الأُمّة وتكاملها فيبقى أمامنا احتمالان ندرسهما تالياً. دراسة الاحتمال الثانى أن تكون الأُمّة قد بلغت بفضل جهود صاحب الدعوة فى إعدادها حدّاً تقدر معه بنفسها على سدِّ ذلك الفراغ. غير أنّ التاريخ والمحاسبات الاجتماعية يبطلان هذا الاحتمال ويثبتان انّه لم يقدّر للأُمّة بلوغ تلك الذروة لتقوم (۴۶)

بسدّ هذه الثغرات التى خلّفها غياب النبىّ الأكرم، لا فى جانب التفسير ولا فى جانب الأحكام، ولا فى جانب ردّ التشكيكات ودفع الشبهات، ولا فى جانب صيانة الدين عن الانحراف. أمّا فى جانب التفسير، فيكفى وجود الاختلاف الفاحش فى تفسير آيات الذكر الحكيم حتى فيما يرجع إلى أعمال المسلمين اليومية كما هو الحال فى تفسير آية الوضوء. وأمّا فى مجال الأحكام، فيكفى فى ذلك الوقوف على أنّ بيان الأحكام الدينيّة حصل تدريجاً على ما تقتضيه الحوادث والحاجات الاجتماعية فى عهد الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ، ومن المعلوم انّ هذا النمط كان مستمرّاً بعد الرسول، غير انّ ما ورثه المسلمون منه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ لم يكن كافياً للإجابة عن ذلك، أمّا الآيات القرآنية فى مجال الأحكام فهى لا تتجاوز ثلاثمائة آية، وأمّا الأحاديث فى هذا المجال، فالذى ورثته الأُمّة لا يتجاوز خمسمائة حديث، وهذا القدر لا يفى بالإجابة عن جميع الموضوعات المستجدّة. (۴۷) ولا نعنى من ذلك انّ الشريعة الإسلامية ناقصة فى إيفاء أغراضها التشريعية وشمول المواضيع المستجدّة، بل المقصود انّ النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ كان يراعى فى إبلاغ الحكم حاجة الناس ومقتضيات الظروف الزمنية، فلابدّ فى إيفاء غرض التشريع على وجه يشمل المواضيع المستجدة والمسائل المستحدثة أن يستودع أحكام الشريعة من يخلفه ويقوم مقامه. وأمّا فى مجال ردّ الشبهات والتشكيكات وإجابة التساؤلات، فقد حصل فراغ هائل بعد رحلة النبىّ من هذه الناحية، فجاءت اليهود والنصارى تترى، يطرحون الأسئلة، حول أُصول الإسلام وفروعه، ولم يكن فى وسع الخلفاء آنذاك الإجابة الصحيحة عنها، كما يشهد بذلك التاريخ الموجود بأيدينا. وأمّا فى جانب صيانة المسلمين عن التفرقة، والدّين عن الانحراف، فقد كانت الأُمّة الإسلامية فى أشدّ الحاجة إلى من يصون دينها عن التحريف وأبناءها عن الاختلاف، فإنّ (۴۸)

التاريخ يشهد على دخول جماعات عديدة من أحبار اليهود ورهبان النصارى و مؤبدى المجوس بين المسلمين، فراحوا يدسّون الأحاديث الإسرائيلية والأساطير النصرانية والخرافات المجوسية بينهم، ويكفى فى ذلك أن يذكر الإنسان ما كابده البخارى من مشاقّ وأسفار فى مختلف أقطار الدولة الإسلامية، وما رواه بعد ذلك، فإنّه ألفى الأحاديث المتداولة بين المحدثين فى الأقطار الإسلامية، تربو على ستمائة ألف حديث، لم يصحّ لديه منها أكثر من أربعة آلاف، وكذلك كان شأن سائر الذين جمعوا الأحاديث وكثير من هذه الأحاديث التى صحّت عندهم كانت موضع نقد وتمحيص عند غيرهم.(۱) فهذه المجعولات على لسان الوحى، تقلع الشريعة من رأس، وتقلب الأُصول، وتتلاعب بالأحكام، وتشوّش التاريخ، أو ليس هذا دليلاً على عدم وفاء الأُمّة بصيانة دينها عن الانحراف والتشويش؟!

۱-لاحظ حياة محمد، لمحمّد حسين هيكل، الطبعة الثالثة عشرة:۴۹ـ۵۰. (۴۹) هذا البحث الضافى يثبت حقيقة ناصعة، وهى عدم تمكّن الأُمّة، مع ما لها من الفضل، من القيام بسدِّ الفراغات الهائلة التى خلّفتها رحلة النبىّ الأكرم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ ويبطل بذلك الاحتمال الثانى تجاه التشريع الإسلامى بعد عصر الرسالة. فيتعين الاحتمال الثالث الذى ندرسه تالياً. دراسة الاحتمال الثالث أن يستودع صاحب الدعوة، كلّ ما تلقّاه من المعارف والأحكام بالوحى، وكلّ ما ستحتاج إليه الأُمّة بعده، شخصيّة مثالية، لها كفاءة تقبُّل

هذه المعارف والأحكام وتحمّلها، فتقوم هى بسدِّ هذا الفراغ بعد رحلته ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وبعد بطلان الاحتمالين الأوّلين لا مناص من تعيُّن هذا الاحتمال، فإنّوجود إنسان مثالى كالنبىّ فى المؤهّلات، عارف بالشريعة ومعارف الدين، ضمان لتكامل المجتمع، وخطوة ضرورية فى سبيل ارتقائه الروحى والمعنوى، فهل يسوغ للّه سبحانه أن يهمل هذا الأمر الضرورى فى حياة الإنسان الدينية؟ (۵۰) إنّ اللّه سبحانه جهَّز الإنسان بأجهزة ضرورية فيما يحتاج إليها فى حياته الدنيوية المادية، ومع ذلك كيف يعقل إهمال هذا العنصر الرئيسى فى حياته المعنوية والدينية؟! يقول المفكّر الإسلامى الكبير ابن سينا: إنّه تعالى قد زوّده بإنبات الشعر على أشفار عينيه وحاجبيه وتقعير الأخمص من القدمين لكى تكون حياته لذيذة غير متعبة، فهل تكون حاجته إلى هذه الأُمور أشد من حاجته إلى الإمام المنصوب من اللّه الذى يضمن كماله بعلمه وتقواه، وقيادته الحكيمة. (۱) ومن الواضح انّ التعرف على هذا الشخص الذى توفرت فيه مؤهلات غيبية لا يحصل إلّا عن طريق تنصيبه من قبل النبى بأمر من اللّه سبحانه، وهذا ما يدعم نظرية التنصيب مكان انتخاب الأُمّة . _____

۱- كتاب النجاة، ص ۳۰۴ . (۵۱)

۳- ما هو المرتكز للصحابة فى صيغة الحكومة؟

۳- ما هو المرتكز للصحابة فى صيغة الحكومة؟ لقد دلّت المحاسبات العقلية والاجتماعية السابقة على لزوم تنصيب الإمام من جانب اللّه تعالى، وأثبتت أن إدلاء الأمر إلى نظر الأُمّة وانتخابها وتعيينها خطأ فاضح، يأباه العقل وترفضه المصالح العامة وتعارضه المحاسبات الاجتماعية. وهناك جانب آخر يسلط الضوء على نظرية الإمامة وهو تصور النبى وأصحابه للإمامة والخلافة. أمّا الأوّل فالقرائن والشواهد تؤكد على أنّ مسألة (۵۲)

الإمامة كانت عندهم تنصيبية وفيما ننقل من الشاهدين تصريح بذلك: ۱. لما عرض الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ نفسه على بنى عامر الذين جاءوا إلى مكة فى موسم الحجّ ودعاهم إلى الإسلام، قال له كبيرهم؟ أرأيت إن بايعناك على أمرك ثمّ أظهرك اللّه على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ :«الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء».(۱) ۲. لما بعث النبىّ ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ سليط بن عمرو العامرى إلى ملك اليمامة الذى كان نصرانياً، يدعوه إلى الإسلام وقد كتب معه كتاباً، فقدم على هوذة، فأنزله وحباه وكتب إلى النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يقول فيه: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومى وخطيبهم، والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الأمر أتّبعك. فقدم سليط على النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وأخبره بما قال هوذة، وقرأ _____

۱- السيرة النبوية لابن هشام:۲/۴۲۴ـ ۴۲۵. (۵۳)

كتابه، فقال النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «لو سألنى سيابة من الأرض ما فعلت. باد وباد ما فى يده».(۱) إنّ هذين النموذجين التاريخيين للّذين لم تمسّهما أيدى التحريف والتغيير يدلّان خصوصاً الأوّل بوضوح كامل على تصور النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ عن مسألة الخلافة والقيادة من بعده، فهما يدلّان على أنّ هذه المسألة كانت إذا طرحت على النبى، وسئل عمّن سيخلفه فى أمر قيادة الأُمّة كان يتجنب إرجاعها إلى نفسه أو إلى نظر الأُمّة، بل يرجع أمرها إلى اللّه تعالى، أو يتوقّف فى إبداء النظر فيه على الأقل. وأمّا تصوّر الصحابة لمسألة الخلافة والمرتكز فى أذهانهم فقد كان يدور حول التنصيب، أى سدّ الفراغ بتنصيب إمام سابق على إمامة إمام لاحق، وما كان يدور فى خلدهم، انتخاب الشعب، أو أهل الحلّ والعقد من الأُمّة، وإليك شواهد على ذلك. _____

۱-طبقات ابن سعد الكبرى:۱/۲۶۲. (۵۴) ما هو المرتكز فى أذهان الصحابة؟ إنّ المتتبع فى تاريخ الصحابة والخلفاء والذين تعاقبوا على مسند الخلافة بعد النبى، يرى بوضوح انّ الطريقة التى اتّبعها أُولئك الصحابة، والخلفاء كانت هى الطريقة الانتصابية ـ وإن كان الانتصاب من جانب شخص لا من اللّه سبحانه ـ لا الانتخابية الشعبية. فالخليفة السابق كان يعين الخليفة اللاحق، إمّا مباشرة أو بتعيين

أشخاص يتولون تعيين الخليفة والاتفاق عليه، ولم يترك أحد أولئك أمر القيادة إلى نظر الأمّة وإرادتها واختيارها، أو يتكل على آراء المهاجرين والأنصار، أو أهل الحلّ والعقد ليختاروا مَن يشاءون للخلافة والامرة. فمن يلاحظ تاريخ الصدر الأوّل يرى انّ خلافة عمر ابن الخطاب تمت بتعيين من أبى بكر. ۱. روى ابن الأثير فى كامله أنّ أبا بكر أملى على عثمان عهده، ولكنّه غشى عليه أثناء الإملاء، فأكمله عثمان وكتب (۵۵)

فيه استخلاف عمر من عند نفسه، ثمّ إنّه لما أفاق أبو بكر من غشيته، وافق على ما كتبه عثمان، وإليك نصّ ما كتبه ابن الأثير: إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفان ليكتب عهده إلى عمر فقال له: اكتب بسم اللّه الرّحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد... ثمّ أُغمى عليه... فكتب عثمان أمّا بعد: فانّى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً. ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علىّ، فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس ان متُّ فى غشيتى. قال عثمان: نعم. قال: جزاك اللّه خيراً عن الإسلام وأهله. فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس فجمعهم، وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، و كان عمر يقول للناس: انصتوا واسمعوا لخليفة رسول اللّه انّه لم (۵۶)

يألكم نصحاً. فسكت الناس فلما قرأ عليهم الكتاب سمعوا له وأطاعوا.(۱) وأمّا استخلاف عثمان فقد ذكره المؤرخون ونقتصر على نصّ ابن الأثير فى كامله، قال: ۲. انّ عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت؟ فقال: مَنْ استخلف؟ لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته، ولو كان سالم مولى حذيفة حياً لاستخلفته. فقال رجل: أدلك عليه عبد اللّه بن عمر، فقال عمر: قاتلك اللّه كيف استخلف من عجز عن طلاق امرأته... إلى أن قال: عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ انّهم من أهل الجنة، وهم: على وعثمان وعبد الرحمن و سعد والزبير ــــــــــــــــ

۱- الكامل فى التاريخ:۲/۲۹۲ ;طبقات ابن سعد الكبرى:۳/۲۰۰. (۵۷)

بن العوام وطلحة بن عبد اللّه. فلما أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً وعبد الرحمن والزبير، فقال لهم: إنّى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلاّ فيكم، وقد قبض رسول اللّه وهو عنكم راض، وانّى لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنّى أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها فتشاوروا فيها، واختاروا رجلاً منكم ، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيّام، وليصلّ بالناس صهيب، ولا ـ يأتى اليوم الرابع إلاّ ـ وعليكم أمير. فاجتمع هؤلاء الرهط فى بيت حتّى يختاروا رجلاً منهم. قال لصهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيام وأدخل هؤلاء الرهط بيتاً وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، وإن رضى ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً، فحكّموا عبد اللّه بن عمر ;فإن لم يرضوا بحكم عبد اللّه بن عمر، فكونوا مع (۵۸)

الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع فيه الناس.(۱) وعلى هذه السيرة جرى أصحاب السياسة بعد حياة الرسول ولم يكن عندهم أىّ رؤى فى تعيين الخليفة لا ـ بالشورى ولا ببيعة أهل الحل والعقد، بل كان التنصيص عندهم هو الطريق الوحيد، لكن لا ـ من اللّه سبحانه بل من جانب الخليفة الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة. ۳. روى المؤرخون انّه لما اغتيل عمر بن الخطاب وأحسّ بالموت، أرسل ابنه عبد اللّه إلى عائشة واستأذن منها أن يدفن فى بيتها مع رسول اللّه ومع أبى بكر، فأتاها عبد اللّه، فأعلمها، فقالت: نعم وكرامة، ثمّ قالت: يا بُنى، أبلغ عمر سلامى وقل له، لا تدع أُمّة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملا، فانّى أخشى عليهم الفتنة، فأتاه فأعلمه.(۲) ــــــــــــــــ

۱-الكامل فى التاريخ:۳/۳۵.

۲-الإمامة والسياسة:۱/۳۲. (۵۹) ۴. انّ عبد اللّه بن عمر دخل على أبيه قبيل وفاته فقال: إنّى سمعت الناس يقولون مقالة، فآليت أن أقولها لك، وزعموا انّك غير مستخلف وانّه لو كان لك راعى إبل أو غنم ثمّ جاءك وتركها لرأيت ان قد ضيّع فرعاية الناس أشد.(۱) ۵. قدم معاوية المدينة لأخذ البيعة من أهلها لابنه يزيد، فاجتمع مع عدّة من الصحابة، وأرسل إلى عبد اللّه بن عمر فأتاه وخلا

به، وكلمه بكلام، وقال: انّى كرهت أن أدع أمّة محمد بعدى كالضأن لا راعى لها.(۲) الآن حصحص الحق إنّ هذا البحث الضافى المقرون بالشواهد والدلائل التاريخية يثبت بوضوح انّ نظام الحكم بعد رحيل النبى كان قائماً على التنصيب من اللّه سبحانه كتنصيبه للنبى، وتشهد _____

۱-حلية الأولياء:۱/۴۴.

۲-الإمامة والسياسة:۱/۱۶۸ (۶۰)

على ذلك الأُمور المتقدّمة التى نأتى بخلاصتها ليستنتج منها النتيجة المبتغاة، وإليك إعادة الدلائل إجمالاً: ۱. انّ الدولة الإسلامية الفتية كانت محاطة بعد وفاة النبى بأعداء فى الداخل والخارج، فمقتضى المصلحة العامة فى تلك الظروف الحرجة تعيين الإمام لئلاّ تُترك الدولة بعد وفاة الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ عرضة للاختلاف وبالتالى تمكن أعداءها منها. ۲. انّ حياة العرب فى عاصمة الإسلام وخارجها كانت حياة قبلية والتعصبات العشائرية لا تزال راسخة فى نفوسهم، وترك أمر الخلافة إلى مجتمع هذا حاله يؤدّى إلى التشاغل والاختلاف وبالتالى إلى القتل والدمار. ۳. انّ الفراغات الهائلة الطارئة بعد رحيل النبى على ما تقدم لا يسد إلاّ بتنصيب من يكون له مؤهلات علمية ونفسية يقوم بوظائف النبى فى تلك المجالات دون أن يكون نبياً أو رسولاً والذى يتمتع بهذه المؤهلات يجب أن يكون خاضعاً لرعاية إلهية ولا يعرّف إلاّ من جانبه. (۶۱) ۴. انّ تصور النبى للخلافة الإسلامية هو إيكالها إلى اللّه سبحانه. ۵. كما أنّ تصور الصحابة وسيرتهم فى الخلافة هى سيرة التنصيب وكانوا يحتجون بأنّ فى تركه تعريضاً للأُمّة للهلاك والدمار وفريسة للذئاب والأعداء. وهل يمكن أن يلتفت الخلفاء وأُمّ المؤمنين إلى ضرورة التنصيب صيانة للأُمّة عن وقوعها فريسة للأعداء ولا يلتفت إليه النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ الذى أُوتى من العلم ما أُوتى، ويقول سبحانه فى حقّه: (وَكانَ فَضْلُ اللّه عَلَيْك عَظيماً).(۱) كلّ ذلك يعرب عن أنّ القائد الحكيم بأمر من اللّه سبحانه سلك مسلكاً ونهج منهجاً يطابق هذه الأُصول والمقدمات وما خالفها وعيّن القائد بعده فى حياته وأعلنه للأُمّة فى موسم أو مواسم. هذا ما أوصلنا إليه السبر والتقسيم والمحاسبة فى الأُمور الاجتماعية والسياسية فيجب علينا عندئذ الرجوع إلى _____

۱-النساء:۱۱۳. (۶۲)

الكتاب والسنّة لنقف ونتعرف على ذلك القائد المنصوب، ونذعن بأنّ عمل النبىّ كان مرافقاً لهذه الأُصول العقلائية التى تقدّمت. وهذا ما سيوافيك بعد دراسة نظرية مبدئية الشورى للحكم.

الفصل الخامس

الفصل الخامس هل الشورى أساس الحكم والخلافة؟ ربما يتصوّر بعض الكتاب الجدد انّ نظام الحكم فى الإسلام هو الشورى، وقد حاول غير واحد من المعاصرين صبّ صيغة الحكومة الإسلامية على أساس المشورة بجعله بمنزلة الاستفتاء الشعبى بملاحظة انّه لم يكن من الممكن بعد وفاة النبى مراجعة كلّ الأفكار لقلّة وسائل المواصلات فاكتفوا بالشورى، واستدلّوا عليه بآيتين كريمتين: ۱.(وَشاوِرْهُمْ فِى الأمْرِ فَإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى اللّه).(۱) ۲. (والَّذينَ استَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمرُهُمْ _____

۱-آل عمران:۱۵۹. (۶۴) شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُون).(۱) هذه النظرية وإن كانت لها روعة خاصة خصوصاً وانّها تتجاوب مع روح العصر لكن الواقع على خلافها لما عرفت من أنّ عمر بن الخطاب أخذ بزمام الحكم بتعيين الخليفة الأوّل، وانّ الثالث استتب له الأمر بشورى سداسية عيّنها نفس الخليفة، حتّى أنّ الخليفة الأوّل أخذ زمام الحكم ببيعة نفرات قليلة، وهم: عمر بن الخطاب و أبو عبيدة، من المهاجرين وبشر بن سعد، من الخزرج، وأسيد بن حضير من الأنصار، وأمّا الباقون من رجال الأوس لم يبايعوا أبا بكر إلاّ تبعاً لرئيسهم«سعد بن حضير»، كما أنّ الخزرجيين رغم حضورهم فى السقيفة، امتنعوا من البيعة لأبى بكر.(۲) وقد غاب عن المجلس كبار الصحابة كالإمام على ـ عليه السَّلام ـ والمقداد، وأبى ذر، وحذيفة بن اليمان، وأبى بن كعب، وطلحة، والزبير وعشرات آخرين

من الصحابة. دون أن يكون هناك _____

۱-الشورى:۳۸.

۲-راجع تاريخ الطبرى:۲/۴۴۵. (۶۵)

شورى وإنّما وقعت الأُمّة أمام عمل مفروغ عنه. وأحسن كلمة تعبر عن خلافة أبى بكر ما ذكره عمر ابن الخطاب بقوله: ...إنّما كانت بيعة أبى بكر فلتة وتمت، ألا وانّها قد كانت كذلك ولكن اللّه وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر، من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه، تغرّة ان يقتلا.(۱) نقد كون الشورى مبدأ الحكم إنّ هنا أُموراً تثبت بوضوح على أنّ الشورى لم يكن مبدأً لنظام الحكم بعد رحيل الرسول، وإليك الإشارة إليها. ۱. لو كان أساس الحكم هو الشورى، لوجب على الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ التصريح به أوّلاً، و بيان حدوده وخصوصياته ثانياً، بأن يبين من هم الذين يشاركون فى الشورى، هل هم القراء وحدهم، أو السياسيون أو القادة العسكريون أو _____

۱-صحيح البخارى:۸/۱۶۹، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت. (۶۶)

الجميع؟ وما هى شرائط المنتخب؟ وأنّه لو حصل هناك اختلاف فى الشورى فما هو المرجح؟ هل هو كمية الآراء وكثرتها، أو الرجحان بالكيفية، وخصوصيات المرشحين وملكاتهم النفسية والمعنوية؟ فهل يصحّ سكوت النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ على الاجابة عن هذه الأسئلة التى تتصل بجوهر مسألة الشورى، وقد جعل الشورى طريقاً إلى تعيين الحاكم؟ ۲. انّ القوم يعبّرون عن أعضاء الشورى بأهل الحل والعقد، ولا يفسرونه بما يرفع إبهامه، فمن هم أهل الحل والعقد؟ وماذا يحلون وماذا يعقدون؟ أهم أصحاب الفقه والرأى الذين يرجع إليهم الناس فى أحكام دينهم؟ وهل يشترط حينئذ درجة معينة من الفقه والعلم؟ وما هى تلك الدرجة؟ وبأى ميزان توزن؟ ومن إليه يرجع الأمر فى تقديرها؟ أم غيرهم، فمن هم؟ وربما تجد من يبدل كلمة أهل الحلّ والعقد بـ«الأفراد المسؤولين» وما هو إلّا وضع كلمة مجملة مكان كلمة مثلها. (۶۷) ۳. وعلى فرض كون الشورى أساس الحكم، فهل يكون انتخاب أعضاء الشورى ملزماً للأُمّة، ليس لهم التخلّف عنه؟ أو يكون بمنزلة الترشيح حتّى تعطى الأُمّة رأيها فيه؟ وما هو دليل كلّ منهما؟ هذه الأسئلة كلّها، لا تجد لها جواباً فى الكتاب والسنّة ولا فى كتب المتكلّمين، ولو كانت مبدأً للحكم لما كان السكوت عنها سائغاً، بل لكان على عاتق التشريع الإسلامى الإجابة عنها وإضاءة طرقها. ۴. انّ الحكومة الإسلامية دعامة الدين وأساس نشر العدل والقسط فى المجتمع ودعوة الناس من الإديان كافة إلى الإسلام إلى مالها من الفوائد العظيمة التى لا تدرك ولا توصف بالبيان. فلو كانت صيغة الحكومة هى التنصيب فقد أدى التشريع الإسلامى وظيفته وجاز له السكوت عن البحث حول الحكومة وصيغتها وسائر الأُمور الراجعة إليها، وأمّا لو كانت صيغة الحكومة من الشورى أو البيعة فلماذا لم يرد فى (۶۸)

الكتاب والسنّة التصريح بذلك الأمر وبيان شرائط الشورى من المنتخِب والمنتخَب . انّا نرى أنّه روى عن النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ حول القدر نحو ۲۵۰ رواية، وحول آداب التخلى ما لا يحصى، وهكذا فى أكثر الأُمور العادية النازلة مرتبة ومكانة، فهل من المعقول سكوت التشريع الإسلامى عن أمر بالغ الأهمية والخطورة وإسهاب الكلام فى أُمور عادية؟! وأمّا الاستدلال بالآيتين الكريمتين فلا يصحّ تماماً فى المقام. أمّا الآية الأُولى أوّلاً: قوله سبحانه: (وَشاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلى اللّه)(۱) فالخطاب فيها متوجه إلى الحاكم الذى استقرت حكومته، فيأمره سبحانه أن ينتفع من آراء رعيته فأقصى ما يمكن التجاوز به عن الآية، هو انّ من وظائف كلّ الحكام التشاور مع الأُمّة، وأمّا انّ الخلافة بنفس الشورى، فلا يمكن الاستدلال عليه بهذه الآية. _____

۱-آل عمران:۱۵۹. (۶۹) وثانياً: انّ المتبادر من الآية هو أنّ التشاور لا يوجب حكماً للحاكم، ولا يلزمه بشىء، بل هو يقلب وجوه الرأى ويستعرض الأفكار المختلفة، ثمّ يأخذ بما هو المفيد فى نظره، وذلك لقوله سبحانه فى نفس الآية: (فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلى اللّه)، المعرب عن أنّ العزم والتصميم والاستنتاج من الآراء والأخذ بما هو الأصلح راجع إلى نفس المشير، وهذا يتحقّق فى ظرف يكون هناك مسؤول تام الاختيار فى استحصال الأفكار والعمل بالنافع منها، حتّى يخاطب بقوله: (فَإِذا عَزَمْتَ)، وأمّا إذا لم يكن ثمة

رئيس، فلا تنطبق عليه الآيـة، إذ ليس فى انتخاب الخليفـة بين المشـيرين من يقوم بـدعوة الأفراد للمشورة، لغاية اسـتعراض آرائهم، ثمّ تمحيص أفكارهم، والأخذ بالنافع منها، ثمّ العزم القاطع عليه. وكلّ ذلك يعرب عن أنّ الآية ترجع إلى غير مسألة الحكومة وما شابهها. ولأجل ذلك لم نر أحـداً من الحاضـرين فى السـقيفة احتـجّ بهـذه الآيـة. وأمّا الآية الثانية فهى: قوله سـبحانه: (وَالَّذِينَ (۷۰) اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقـامُوا الصَّلاـة وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمّـا رَزَقْنـاهُمْ يُنْفِقُونَ).(۱) فيقرر كيفيـة دلالتهـا على كون الشورى مبـدأً للحكم بالبيـان التـالى: أنّ المصـدر (أمْر) أضـيف إلى الضـمير (هُمْ)، وهو يفيـد العموم والشـمول لكـلّ أمر، ومنه الخلافـة، فيعود معنى الآيـة أنّ شأن المؤمنين فى كلّ مورد، شورى بينهم. يلاحظ عليه: أنّ الآيـة تأمر بالمشورة فى الأُمور المضافة إلى المؤمنين، وأمّا أنّ تعيين الخليفة من الأُمور المضافة إليهم، فهو أوّل الكلام، والتمسّك بالآية فى هذا المجال، تمسّك بالحكم فى إثبات موضوعه. وبعبارة أُخرى : إنّ الآية حثّت على الشـورى فيمـا يمتّ إلى شـؤون المـؤمنين بصـلة، لاـ فيمـا هـو خـارج عن حوزة أُمورهم، أمّـا كون تعيين الإمـام داخلاً ـ فى أُمورهم، فهو أوّل الكلام، إذ _____

۱-الشورى:۳۸. (۷۱)

لا ندرى هل هو من شؤونهم أو من شؤون اللّه سـبحانه، ولا ندرى، هل هى إمرة وولاية إلهية تتم بنصبه سبحانه وتعيينه، أو إمرة وولاية شعبية، ويجوز للناس التدخّل فيها. ومع هذا الترديد لا يصحّ التمسّك بالآية. (۷۲)

الفصل السادس

الفصل السادس النصوص الدينيـة وتنصـيب علىّ ـ عليه السَّلام ـ للإمامة قد تبيّن بما قدّمناه من الأبحاث على ضوء الكتاب والسـنّة ومن خلال مطالعة تاريخ الإسلام والمحاسبة فى الأُمور الاجتماعية والسياسيّة، وفى ظلّ هداية العقل الصريح، انّ خليفة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ وإمـام المسـلمين يجب أن يكون منصوباً من جـانب الرسول بـإذن من اللّه سـبحانه، وعندئـذ يلزمنـا الرجوع إلى الكتاب والسنّة لنقف على ذلك القائد المنصوب فنقول: إنّ من أحاط بسيرة النبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ يجد على بن أبى طالب (۷۳) وزير رسول اللّه فى أمره وولى عهـده وصاحب الأمر من بعـده، ومن وقف على أقوال النبى وأفعاله فى حلّه وترحاله، يجـد نصوصه فى ذلك متواترة، كما أنّ هناك آيات من الكتاب العزيز تهـدينا إلى ذلك، ونحن نكتفى فى هـذا المجال بـذكر آيـة الولاية من الكتاب ونتبعها بحديثى المنزلة والغدير: ۱. آية الولاية قال سبحانه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ).(۱) وقبـل الاسـتدلال بالآيـة نـذكر شـأن نزولها، روى المفسـرون عن أنس بن مالك وغيره انّ سائلاً أتى المسـجد وهو يقول: من يقرض المليء الوفىّ، وعلىّ راكع يشـيربيده للسائل: إخلع الخاتم من يـدى، فما خرج أحد من المسـجد حتى نزل جبرئيل بـ:

۱-المائدة:۵۵. (۷۴) (إِنّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ) .(۱) وإليك توضـيح الاسـتدلال: إنّ المستفاد من الآية انّ هناك أولياء ثلاثة وهم: اللّه تعالى، ورسوله، والمؤمنون الموصوفون بالأوصـاف الثلاثـة، وانّ غير هؤلاـء من المؤمنين هم مولّى عليهم، ولاـ يتحقّق ذلك إلاّ بتفسـير الولى بالزعيم والمتصرّف فى شؤون المولّـى عليه، إذ هذه الولاية تحتاج إلى دليل خاص، ولا يكفى الإيمان فى ثبوتها، بخلاف ولاية المحبّة والنصرة، إذ هما من فروع الإيمان، فكلّ مؤمن محبّ لأخيه المؤمن وناصر له . _____

۱-رواه الطبرى فى تفسـيره:۶/۱۸۶ ;والجصـاص فى أحكام القرآن:۲/۴۴۶ ;والسـيوطى فى الدر المنثور:۲/۲۹۳ ;وغيرهم. وأنشأ حسّان بن ثابت فى ذلك أبياته المعروفة ،وهى: أبا حسن تفديك نفسى ومهجتى * وكلّ بطىء فى الهدى ومسارع

أيذهب مدحى والمحبين ضائعاً * وما المدح فى ذات الإله بضائع

فأنت الذى أعطيت إذ أنت راكع * فدتك نفوس القوم يا خير راكع

بخاتمك الميمون يا خير سيد * ويا خير شار ثم يا خير بائع

فأنزل فيك اللّه خير ولايـة * وبيَّنها فى محكمات الشـرائع (۷۵) هـذا مضافاً إلى الاختصاص المسـتفاد من كلمـة إنّما وأحاديث شأن النزول الواردة فى الإمـام على ـ عليه السَّلام ـ ، فهـذه الوجوه الثلاثـة تجعـل الآيـة كالنصّ فى الدلالـة على ما يرتئيه الإماميـة فى مسألة الإمامـة. فإن قلت: إذا كان المراد من قوله: (الَّذِينَ آمَنُوا) هو الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السَّلام ـ فلماذا جيء بلفظ الجماعة؟ قلت: جيء بـذلك ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، وليتبّه على أنّ سـجيَّة المؤمنين يجب أن تكون على هـذه الغايـة من الحرص على البرّوالإحسان وتفقّد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم فى الصلاة، لم يؤخّروه إلى الفراغ منها.(۱) وهناك وجه آخر أشـار إليه الشـيخ الطبرسـى، وهو انّ النكتـة فى إطلاـق لفظ الجمع على أمير المؤمنين، تفخيمه وتعظيمه، وذلك انّ أهل اللغـة يعبّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التعظيم، وذلك أشهر فى كلامهم من أن _____

۱ـالكشاف:۱/۶۴۹، دار الكتاب العربى، بيروت. (۷۶)

يحتاج إلى الاستدلال عليه.(۱) ربما يقال إنّ المراد من الولىّ فى الآية ليس هو المتصـرف، بل المراد الناصـر والمحبّ بشـهادة ما قبلها ومـا بعـدها، حيث نهى اللّه المؤمنين أن يتّخـذوا اليهود والنصـارى أوليـاء، وليس المراد منه إلاّـ النصـرة والمحبـة، فلو فُسّـرت فى الآية بالمتصرّف يلزم التفكيك.(۲) والجواب عنه: انّ السّـياق إنّما يكون حجّة لو لم يقم دليل على خلافه، وذلك لعدم الوثوق حينئذبنزول الآية فى ذلك السياق، إذ لم يكن ترتيب الكتاب العزيز فى الجمع موافقاً لترتيبه فى النزول بإجماع الأُمّة ، وفى التنزيل كثير من الآيات الواردة على خلاف ما يعطيه السـياق كآية التطهير المنتظمة فى سـياق النساء مع ثبوت النص على اختصاصها بالخمسة أهل الكساء.(۳)

۱- مجمع البيان:۳ـ۴/۲۱۱.

۲- الإشكال للرازى فى: مفاتيح الغيب: ۱۲/۲۸.

۳ـالمراجعات: ۱۶۷، الرقم ۴۴. (۷۷) ۲. حديث«المنزلة» روى أهل السـير والتاريخ انّ رسول اللّه ـ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم ـ خلّف علىّ بن أبى طـالب ـ عليه السَّلام ـ على أهله فى المدينـة عنـد توجّهه إلى تبوك، فأرجف به المنافقون، وقالوا ما خلّفه إلاّ اسـتثقالاً له وتخوّفاً منه، فضاق صدره بذلك، فأخذ سلاحه وأتى النبىّ وأبلغه مقالتهم، فقال ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ : «كذبوا، ولكنّى خلّفتك لمـا تركت ورائى، فـارجع واخلف فى أهلى وأهلـك، أفلاـ ترضـى يـا علىّ أن تكون منّى بمنزلـة هـارون من موسـى، إلاّـ أنّه لاـ نـبىّ بعدى؟».(۱) إضافة كلمة«منزلة» ـ وهى اسم جنس ـ إلى هارون _____

۱ـالسيرة النبوية لابن هشام:۲/۵۱۹ـ ۵۲۰. وقد نقله من أصـحاب الصحاح، البخارى فى غزوة تبوك:۶/۳، ط ۱۳۱۴ ;ومسلم فى فضائل على:۷/۱۲۰ ;وابن ماجـة فى فضائل أصـحاب النبى:۱/۵۵ ;والإمـام أحمـد فى غير مورد من مسـنده، لاحظ: ۱/۱۷۳، ۱۷۵، ۱۷۷، ۱۷۹، ۱۸۲، ۱۸۵، ۲۳۰ ;وغيرهم من الأثبات الحفاظ. (۷۸)

يقتضـى العموم، فالرواية تدلّ على أنّ كلّ مقام ومنصب كان ثابتاً لهارون فهو ثابت لعلىّ، إلاّ ما اسـتثنى وهو النبوّة، بل الاسـتثناء أيضاً قرينـة على العموم ولولاـه لمـا كان وجه للاسـتثناء، وكون المورد هو الاسـتخلاف على الأهل لا يـدلّ على الاختصاص، فإنّ المورد لا يكون مخصِّصـاً، كما لو رأيت الجنب يمسّ آيـة الكرسـى مثلاً فقلت له لا يمسَّن آيات القرآن محـدث، يكون دليلاً على حرمـة مسّ القرآن على الجنب مطلقاً. وأمّا منزلة هارون من موسـى فيكفى فى بيانها قوله سـبحانه حكاية عن موسى: (وَاجْعَلْ لِى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى* هـارُونَ أَخِى* اشْـدُدْ بِهِ أَزْرِى* وَأَشْـرِكْهُ فِى أَمْرِى).(۱) وقـد أُوتى موسـى جميع ذلـك كما يقول سـبحانه: (قالَ قَـدْأُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى) .(۲) _____

۱ـطه:۲۹ـ۳۲.

۲ـطه:۳۶. (۷۹) وقد اسـتخلف موسـى أخيه هارون عند ذهابه إلى ميقات ربّه مع جماعة من قومه، قال سـبحانه: (وَقالَ مُوسـى لأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنى فِى قَومِى وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِين).(۱) وهذا الاسـتخلاف وإن كان فى قضية خاصّة ووقت خاص، لكن اللفظ

مطلق والمورد لا يكون مخصّصاً. و من هنا لو فرض غيبة أُخرى لموسى من قومه مع عدم تنصيصه على استخلاف هارون كان خليفة له بلا إشكال. وهارون و إن كان شريكاً لموسى فى النبوّة إلّا أنّ الرئاسة كانت مخصوصة لموسى، فموسى كان وليّاً على هارون وعلى غيره، وهذا دليل على أنّ منزلة الإمامة منفصلة من النبوة، وإنّما اجتمع الأمران لأنبياء مخصوصين، لأنّ هارون لو كان له القيام بأمر الأُمّة من حيث كان نبياً لما احتاج فيه إلى استخلاف موسى إيّاه وإقامته مقامه.(۲) _____

۱-الأعراف:۱۴۲.

۲-مجمع البيان:۳ـ۴/۴۷۳. (۸۰) ۳.حديث «الغدير» حديث الغدير، ممّا تواترت به السنّة النبويّة وتواصلت حلقات أسانيده منذ عهد الصحابة والتابعين إلى يومنا الحاضر، رواه من الصحابة(۱۱۰) صحابياً ومن التابعين(۸۴) تابعياً، وقد رواه العلماء والمحدّثون فى القرون المتلاحقة، وقد أغنانا المؤلّفون فى الغدير عن إراءة مصادره ومراجعه، وكفاك فى ذلك كتب لمّة كبيرة من أعلام الطائفة، منهم: العلّامة السيد هاشم البحرانى (المتوفّى ۱۱۰۷هـ) مؤلّف «غاية المرام»، والسيد مير حامد حسين الهندى (المتوفّى ۱۳۰۶هـ) مؤلّف «العبقات»، والعلّامة الأمينى (المتوفّى ۱۳۹۰هـ) مؤلف «الغدير»، والسيد شرف الدين العاملى (المتوفّى ۱۳۸۱هـ) مؤلّف «المراجعات». ومجمل الحديث هو انّ رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أذَّن فى الناس بالخروج إلى الحجّ فى السنة العاشرة من الهجرة، وأقلّ ما قيل انّه خرج معه تسعون ألفاً، فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ووصل إلى غدير «خم»، وذلك يوم الخميس، (۸۱) الثامن عشر من ذى الحجّة ، نزل جبرئيل الأمين عن اللّه تعالى بقوله: (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) .(۱) فأمر رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أن يردّ من تقدّم، ويحبس من تأخّر حتى إذا أخذ القوم منازلهم نودى بالصلاة، صلاة الظهر، فصلّى بالناس، ثمّ قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل، وبعد الحمد والثناء على اللّه سبحانه وأخذ الإقرار من الحاضرين بالتوحيد والنبوّة والمعاد، والإيصاء بالثقلين، وبيان انّ الرسول ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، أخذ بيد على فرفعها حتى رؤى بياض إبطيهما وعرفه القوم أجمعون، ثمّ قال: «من كنت مولاه، فعلىّ مولاه ـ يقولها ثلاث مرّات ـ». ثمّ دعا لمن والاه، وعلى من عاداه، وقال: «ألا ـ فليبلّغ الشاهد الغائب». ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحى اللّه بقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

۱-المائدة: ۶۷ . (۸۲) نِعْمَتِى)(۱) الآية. فقال رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ: «اللّه أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتى والولاية لعلىّ من بعدى». ثمّ أخذ الناس يهنّئون عليّاً، وممّن هنّأه فى مقدّم الصحابة الشيخان أبوبكر وعمر كلّ يقول: «بَخٍّ بَخٍّ، لك يابن أبى طالب، أصبحت مولاى ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة». دلالة الحديث إنّ دلالة الحديث على إمامة مولانا أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ دلالة واضحة، لم يشكّ فيها أىّ عربى صميم عصر نزول الحديث وبعده إلى قرون، ولم يفهموا من لفظة المولى إلّا ـ الإمامة. إنّ هناك قرائن حالية ومقالية تجعل الحديث كالنّصّ فى أنّ المراد من المولى هو الأولى بالتصرّف فى شؤون المؤمنين على _____

۱-المائدة: ۳. (۸۳)

غرار ما كان للنبى ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ من الولاية. أمّا القرينة الحالية (المقامية) فيكفينا فى بيانها ما ذكره التفتازانى بقوله: «المولى قد يراد به المعتِق والمعتَق والحليف، والجار، وابن العمّ، والناصر، والأولى بالتصرّف، وينبغى أن يكون المراد به فى الحديث هو هذا المعنى، ليطابق صدر الحديث، ولأنّه لا وجه للخمسة الأُول وهو ظاهر، ولا للسادس لظهوره، وعدم احتياجه إلى البيان وجمع الناس لأجله». ثمّ قال: «لا ـ خفاء فى أنّ الولاية بالناس، والتولّى والمالكية لتدبير أمرهم والتصرّف فيهم بمنزلة النبى، وهو معنى الإمامة».(۱) _____

۱-شرح المقاصد:۵/۲۷۳ـ۲۷۴.ولكنّه رمى الحديث بعدم التواتر فلم يأخذ به فى المقام حيث إنّ مسألة الإمامة ليست من الفروع عند الإماميّة.

أقول: لكنّها من مسائل الفروع عندهم، فعلى فرض صحّة الرواية تكون حجّة وإن لم تكن متواترة عنده. (۸۴) وأمّا القرائن المقالية فمتعدّدة نشير إلى بعضها: القرينة الأُولى: صدر الحديث وهو قوله ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ: «ألست أولى بكم من أنفسكم». أو ما يؤدّى مؤدّاه من ألفاظ متقاربة، ثمّ فرَّع على ذلك قوله: «فمن كنت مولاه فعليّ مولاه» وقد روى هذا الصدر من حفّاظ أهل السنّة ما يربو على أربعة وستين عالماً.(۱) القرينة الثانية: نعى النبيّ نفسه إلى الناس حيث إنّه يعرب عن أنّه سوف يرحل من بين أظهرهم فيحصل بعده فراغ هائل، وانّه يُسدّ بتنصيب على ـ عليه السَّلام ـ فى مقام الولاية. وغير ذلك من القرائن التى استقصاها شيخنا المتتبع فى غديره.(۲) _____

۱-لاحظ نقولهم فى كتاب الغدير، ج۱، موزَّعين حسب قرونهم.

۲-المصدر السابق: ۳۷۰ـ۳۸۳. (۸۵) لماذا أعرض الصحابة عن مدلول حديث الغدير؟ أقوى مستمسك لمن يريد التخلّص من الأخذ بالنصّ المتواتر الجليّ فى المقام، هو انّه لو كان الأمر كذلك فلماذا لم تأخذه الصحابة مقياساً بعد النبى؟ وليس من الصحيح إجماع الصحابة وجمهور الأُمّة على ردّ ما بلَّغه النبيّ فى ذلك المحتشد العظيم. والجواب عنه انّ من رجع إلى تاريخ الصحابة يرى لهذه الأُمور نظائر كثيرة فى حياتهم السياسية، وليكن ترك العمل بحديث الغدير من هذا القبيل، منها «رزيّة يوم الخميس» رواها الشيخان وغيرهما(۱)، ومنها سريّة أُسامة(۲)، و منها صلح الحديبية واعتراض لفيف من الصحابة(۳)، _____

۱-أخرجه البخارى فى غير مورد لاحظ ج۱، باب كتابة العلم، الحديث ۳، وج ۴/۷۰ وج ۶/۱۰ من النسخة المطبوعة سنة ۱۳۱۴هـ ;و الإمام أحمد فى مسنده :۱/۳۵۵.

۲-طبقات ابن سعد:۲/۱۸۹ـ۱۹۲ ;الملل والنحل للشهرستانى:۱/۲۳.

۳-صحيح البخارى: ۲/۸۱، كتاب الشروط ;صحيح مسلم:۵/۱۷۵، باب صلح الحديبية ; والطبقات الكبرى لابن سعد:۲/۱۱۴. (۸۶) ولسنا بصدد استقصاء مخالفات القوم لنصوص النبى وتعليماته، فإنّ المخالفة لا تقتصر على ما ذكر، بل تربو على نيّف وسبعين مورداً، استقصاها بعض الأعلام.(۱) وعلى ضوء ذلك لا يكون ترك العمل بحديث الغدير، من أكثريّة الصحابة دليلاً على عدم تواتره، أو عدم تماميّة دلالته. _____

۱-لاحظ كتاب النص والاجتهاد للسيد الإمام شرف الدين. (۸۷)

الفصل السابع

الفصل السابع السنّة النبويّة والأئمّة الاثنا عشر إنّ النبيّ الأكرم ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ـ لم يكتف بتنصيب على ـ عليه السَّلام ـ منصب الإمامة و الخلافة، كما لم يكتف بإرجاع الأُمّة الإسلامية إلى أهل بيته وعترته الطاهرة، ولم يقتصر على تشبيههم بسفينة نوح، بل قام ببيان عدد الأئمّة الّذين يتولّون الخلافة بعده، واحداً بعد واحد، حتّى لا يبقى لمرتاب ريب، فقد روى فى الصحاح والمسانيد بطرق مختلفة عن جابر بن سمرة انّ الخلفاء بعد النبيّ اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، وإليك ما ورد فى توصيفهم من الخصوصيات: ۱. لا يزال الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة. (۸۸) ۲. لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة. ۳. لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة. ۴. لا يزال الدين ظاهراً على من ناوأه حتى يمضى من أُمّتى اثنا عشر خليفة. ۵. لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً. ۶. لا يزال الناس بخير إلى اثنى عشر خليفة.(۱) وقد اختلفت كلمة شرّاح الحديث فى تعيين هؤلاء الأئمّة، ولا تجد بينها كلمة تشفى العليل، وتروى الغليل، إلّا ما نقله الشيخ سليمان البلخى القندوزى الحنفيّ فى ينابيعه عن بعض المحقّقين، قال: «إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده اثنى عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، ولا يمكن أن يحمل هذا الحديث _____

۱-راجع صحيح البخارى:۹/۸۱، باب الاستخلاف ;صحيح مسلم:۶/۳، كتاب الأمارة، باب الناس تبع لقريش ;مسند أحمد:۵/۸۶ـ۱۰۸;

مستدرک الحاکم: ۳/۶۱۸. (۸۹)

علی الخلفاء بعده من الصحابة، لقلّتهم عن اثنی عشر، ولا یمکن أن یحمل علی الملوک الأُمویّین لزیادتهم علی الاثنی عشر ولظلمهم الفاحش إلاّ ـ عمر بن عبد العزیز... ولا ـ یمکن أن یحمل علی الملوک العباسیین لزیادتهم علی العدد المذکور ولقلّة رعایتهم قوله سبحانه: (قُلْ لا أَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلاَّ المَودَّةَ فِی الْقُرْبی) .(۱) وحدیث الکساء، فلابد من أن یحمل علی الأئمة الاثنی عشر من أهل بیته وعترته، لأنّهم کانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلّهم، وأورعهم ، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأکرمهم عند اللّه، وکانت علومهم عن آبائهم متصلة بجدّهم ـ صلّی الله علیه وآله وسلّم ـ وبالوراثة اللّدنیة، کذا عرّفهم أهل العلم و التحقیق، وأهل الکشف والتوفیق. ویؤیّد هذا المعنی ویرجّحه حدیث الثقلین و الأحادیث المتکثّرة المذکورة فی هذا الکتاب وغیرها».(۲) _____

۱- الشوری:۲۳.

۲-ینابیع المودَّة:۴۴۶، ط استنبول، عام ۱۳۰۲. (۹۰) أقول: الإنسان الحرّ الفارغ عن کلّ رأیّ مسبق، لو أمعن النظر فی هذه الأحادیث وأمعن فی تاریخ الأئمّة الاثنی عشر من ولد الرسول، یقف علی أنّ هذه الأحادیث لا تروم غیرهم، فإنّ بعضها یدلّ علی أنّ الإسلام لا ینقرض ولا ینقضی حتّی یمضی فی المسلمین اثنا عشر خلیفة، کلّهم من قریش ;وبعضها یدلّ علی أنّ عزَّة الإسلام إنّما تکون إلی اثنی عشر خلیفة ;وبعضها یدلّ علی أنّ الدین قائم إلی قیام السّاعة وإلی ظهور اثنی عشر خلیفة، وغیر ذلک من العناوین. وهذه الخصوصیات لا توجد فی الأُمّة الإسلامیة إلاّ فی الأئمّة الاثنی عشر المعروفین عند الفریقین(۱)، خصوصاً ما یدلّ علی أنّ وجود الأئمّة مستمرّ إلی آخر الدهر ومن المعلوم انّ آخر الأئمّة هو المهدیّ المنتظر الذی یعدّ ظهوره من أشراط _____

۱-وهم: علی بن أبی طالب، وابناه الحسن والحسین سیدا شباب أهل الجنّة، وعلی بن الحسین السجاد، ومحمّد بن علی الباقر، وجعفر بن محمّد الصادق، وموسی بن جعفر الکاظم، وعلی بن موسی الرضا، ومحمّد بن علی التقی، وعلی بن محمّد النقی، والحسن بن علی العسکری، وحجّة العصر المهدی المنتظر ـ صلوات اللّه وسلامه علیهم أجمعین ـ (۹۱)

الساعة. ثمّ إنّه قد تضافرت النصوص فی تنصیص الإمام السابق علی الإمام اللاحق، فمن أراد الوقوف علی هذه النصوص، فلیرجع إلی الکتب المؤلّفة فی هذا الموضوع.(۱) تمّت الرسالة بید مؤلّفها جعفر السبحانی الراجی من اللّه عفوه وغفرانه له ولوالدیه ولمن وجب له علیه حقّ والحمد للّه الذی بنعمته تتم الصالحات _____

۱-لاحظ الکافی:ج۱، کتاب الحجّة ;کفایة الأثر، لعلی بن محمد بن الحسن الخزاز القمی من علماء القرن الرابع ;إثبات الهداة للشیخ الحرّ العاملی، وهو أجمع کتاب فی هذا الموضوع.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة)

تحتَ عنايـة سـماحة آيـة الله الحـاجّ السيّد حسن الإمـاميّ – دامَ عِزّهُ – و مـع مساعَـدَةِ جمـعٍ من خِرّيجى الحـوزات العلميّـة و طلاـب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّـى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّـباب و عموم النـاس إلى التّحَرّى الأـدَقّ للمسائـل الدّينيّـة، تخليف المطـالب النّافعـة – مكـانَ البَلاـتيثِ المبتذلـة أو الرّديئـة – فى المحـاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسـيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققين و الطّلّاب، توسـعة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّـه يُمكِن تسـريعُ إبراز المَرافِق و التسـهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جـهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹